

خطبة الجمعة - الخطبة ٨١٠ : من صفات الربانيين ٢ ، خ ٢ - الغدة النخامية .

لضيّلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠١-١٠-٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحده، ونستعين به ونسترشد، ونعود به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضل له، ومن يضل فلن تجد له ولیاً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر، أو سمعت أذن بخبر، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه، وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنها، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

تتمة صفات الرباني :

١ - التحلي بخلق يتناسب مع علمه :

أيها الأخوة الكرام، بدأت في الجمعة المنصرمة الحديث عن معنى قوله تعالى:

﴿وَكُنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾

[سورة آل عمران : ٧٩]

فإله جل جلاله يأمرنا أن نكون ربانيين، أي منتسبون إلى الله، في كل شؤوننا، في كل حركاتنا وسكناتنا، في كل ما نعتقد، في كل ما نقوله، في كل ما نحبه، وذكرت في الخطبة السابقة أن من صفات الرباني العلم، وأن من صفات الرباني العمل، وأن من صفات الرباني الإخلاص، ووعدت أن أتابع هذا الموضوع في خطبتيين قادمتين إن شاء الله تعالى.

أيها الأخوة الكرام، ومن صفات الرباني أن يتحلى بخلق يتناسب مع علمه، فكان عليه الصلاة والسلام يتسم بالسمت والوقار غير المتكلف، تكافل الوقار مرفوض عند معظم الناس، كان عليه الصلاة والسلام يتسم بالسمت والوقار من دون تكلف، فهو قدوة لنا - و الشيء الذي أؤكد دائمًا أن معرفة سيرة النبي فرض عين على كل مسلم، بدليل أن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾

[سورة الأحزاب : ٢١]

كيف يكون النبي أسوة حسنة إن لم نعرف دقائق حياته وتفاصيل سيرته؟ فكان عليه الصلاة والسلام له من الهيبة والوقار في نفوس أصحابه الشيء العظيم، حتى إنه سها يوماً من الأيام في صلاته كما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة قال:

((صَلَّى رَبِّنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِحْدَى صَلَاتَيِ الْعَشَيِّ قَالَ ابْنُ سَيِّرِينَ سَمَّاهَا أَبُو هُرَيْرَةَ وَلَكِنْ نَسِيَتْ أَنَا قَالَ فَصَلَّى بَنِي رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ فَقَامَ إِلَى خَشْبَةٍ مَعْرُوضَةٍ فِي الْمَسْجِدِ فَاتَّكَأَ عَلَيْهَا كَانَهُ غَضِيبًا وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى وَشَبَكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ وَوَضَعَ خَدَهُ الْأَيْمَنَ عَلَى ظَهْرِ كَفِهِ الْيُسْرَى وَخَرَجَتِ السَّرْعَانُ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالُوا قَصْرَتِ الصَّلَاةُ وَفِي الْقَوْمِ أَبُو بَكْرٌ وَعَمْرُ فَهَابَا أَنْ يُكَلِّمَاهُ وَفِي الْقَوْمِ رَجُلٌ فِي يَدِيهِ طُولٌ يُقَالُ لَهُ ذُو الْيَدَيْنَ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْسَيْتَ أَمْ قَصْرَتِ الصَّلَاةُ قَالَ لَمْ أَنْسَ وَلَمْ تُقْصِرْ فَقَالَ أَكْمَا يَقُولُ ذُو الْيَدَيْنَ فَقَالُوا نَعَمْ فَتَقَدَّمَ فَصَلَّى مَا تَرَكَ ثُمَّ سَلَّمَ ثُمَّ كَبَّ وَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَكَبَّ ثُمَّ كَبَّ وَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَكَبَّ ثُمَّ سَلَّمَ))

[اتفق عليه عن أبي هريرة]

هذا الذي يوصف بأنه رباني هو مع الناس، لكن يترفع عن سقطاتهم، هو في برج عاجيٍ أخلاقي، لا في برج عاجي فكري، فهو يتسم بالسمت و الوقار من دون تكلف.

٢ – يخلق الناس بخلق حسن :

أيها الأخوة الكرام، ومن صفات الرباني أنه يخلق الناس بالحسنى، أي من خالط الناس و صبر على أذاهم خير من لم يخالطهم و لم يصبر على أذاهم، كيف يتعلم الناس من هذا الرباني الآداب؟ كيف يتعلم الناس من هذا الرباني العلم؟ كيف يتعلم الناس من هذا الرباني الحكمة؟ لا بد أن يكون معهم، فهذا الذي يترفع كلياً عن أن يلتقى بالناس، و عن أن يخالطهم فقد خالف منهج النبي عليه الصلاة والسلام، بل إن الأنبياء العظام وهم قمم البشر كانوا يمشون في الأسواق، ويخالطون الناس ليقفوا على مشكلاتهم.

قواعد مخالطة الناس :

أيها الأخوة الكرام، مخالطة الناس ينبغي أن تكون وفق قواعد، أقول هذا الكلام لكل أخ مؤمن صادق، إن خالطت أنساً، واستطاعوا أن يجرؤوك إلى ما هم فيه فابتعد عنهم، عندئذ تكون العزلة خيراً من المخالطة، أما إن خالطتهم، واستطعت أن تؤثر فيهم، وأن تأخذ بيدهم إلى الله، وأن تغير من سلوكهم، وأن تصح من معتقداتهم، فينبغي حينئذ أن تخالطهم، لأنني بهذا أشبه هذا القانون بلعبة شد الحبل، إن أمكنك أن تشدهم إليك فخالطهم، وإن كنت أضعف من أن تشدهم إليك فاعتزلهم، فبين العزلة والمخالطة ميزان دقيق جداً.

أيها الأخوة الكرام، هناك من إذا خالطته كان كالغذاء، وهناك من إذا خالطته كان كالدواء، وهناك من إذا خالطته كان كالداء، وهناك من إذا خالطته كان كالداء العضال، ضيع عليك دينك و دنياك. فيا أيها الأخوة، يقول الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[سورة التوبه: ١١٩]

فالبيئة لها أثر كبير، الخلطة لها أثر كبير، من أصحابك؟ مع من تسهر؟ مع من تتنزه؟ مع من تلتقي؟ مع من تتبسط؟ مع من تحب؟ هؤلاء الأصحاب لهم خطر كبير في تغيير سلوكك و اتجاهك، فينبغي أن تخلط من كان لك كالغذاء، وقد تخلط من كان لك كالدواء، أما أن تخلط من ضيع عليك بعض دينك بهذه مخالطة محرمة، أما أن تخلط من ضيع عليك دينك و أخراك بهذه مخالطة مدمرة.

الولي من آمن بالله و اتقى أن يعصيه :

أيها الأخوة الكرام، العالم الرباني و كل واحد منكم ينبغي أن يكون ربانياً، ليس في هذا الدين العظيم طبقة اسمها رجال الدين، إن الله جل جلاله حينما عرف أولياء الله فقال:

﴿إِنَّ أُولَئِكَ لَا يَحْرُجُونَ هُمْ يَحْرُجُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾

[سورة يونس : ٦٢-٦٣]

فكل مؤمن آمن بالله الإيمان الحق، واتقى أن يعصيه فهو عند الله ولِيٌّ، و كل واحد منكم و أنا معكم ينبغي أن يكون ولِيًّا لله، و كل واحد منكم و أنا معكم ينبغي أن يكون ربانياً، الخير يجب أن يعم الناس جميعاً، و كل واحد منكم و أنا معكم ينبغي أن يكون داعية إلى الله، في حدود ما يعلم، و في حدود من يعرف، عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((بِلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آتَيْتُهُ وَحَدِّثُوا عَنِّي بْنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَّبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلَيَتَبَوَّأْ مَقْعِدَهُ مِنَ النَّارِ))

[الخاري عن عبد الله بن عمرو]

هذه السكونية في حياة المؤمنين سكونية مدمرة، لا يفعل شيئاً، لا يتحرك، لا يبتسم ببنت شفة، لكنه مسلم، و يصلی، فماذا قدمت؟ استقامتك عادت عليك بالراحة، أرحت نفسك من مصائب لا تُعدُّ ولا تحصى، و لكن ماذا قدمت الله؟ لو أن الله أو قفك بين يديه، وقال لك: عبدي ماذا فعلت من أجلي؟ ماذا تركت؟ استعجلت الراحة لنفسك، غضضت بصرك، فكان الوفاق الزوجي، ضبطت لسانك، فكنت محمود السيرة عند الناس، مستحيل بعد أن تفعل ما تفعل وألا تأخذ الذي لك، فأنت تدخل مع إنسان في متاهة وخصوصة، أنت حينما تستقيم تعجلت الراحة لقلبك، و لكن حينما تعمل عملاً صالحاً، حينما تبذل فقد عملت لنفسك فقط، أسأل أحدهم يقول لك: أنا لا أكذب، لا أغتاب، لا أظلم، كل الاستقامة مبدوعة بلا، أو بما، لأنها ترك، لكن آن الأوان أن نقول: ماذا

فعلت؟ هل حملت هموم المسلمين؟ ماذا قدمت لآخرتك؟ ماذا قدمت بين يدي الله يوم القيمة؟ فلقد عمرت عمراً مديداً، قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ نُعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِير﴾

[سورة فاطر : ٣٧]

تعريف النذير :

قال القرطبي: النذير هو القرآن الكريم، و النذير هو كلام النبي عليه الصلاة و السلام، و النذير هو سن الأربعين، ومن دخل في الأربعين دخل في أسواق الآخرة، و النذير سن الستين، والنذير الشيب، وجاء في بعض الآثار: أنْ عبدي كبرت سنك، وانحنى ظهرك، وضعف بصرك، و شاب شعرك فاستح مني، فأنا أستحيي منك .

إلى متى أنت باللذات مشغولٌ وأنت عن كل ما قدمت مسؤولٌ

قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ نُعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِير﴾

[سورة فاطر : ٣٧]

ثم إن المصائب هي النذير، ثم إن موت الأقارب هو النذير، ثم إن الأحداث التي تجري الآن في كل بقاع الأرض نوع من النذير، أنتم أيها المسلمون محسوبون على الله، و معظم المسلمين ليسوا كما يريد الله عز وجل، فإما أن تصحوا، وإما أن تلتفتوا، وإما أن تلتزموا، وإما أن تستقيموا، وإن هناك شدة لا يعلمها إلا الله.

حجم الإنسان عند ربه بحجم عمله الصالح :

أيها الأخوة الكرام، هذا الانسحاب من الحياة، هذا الانسحاب من العمل، هذه الفوقة، هذه ليست من صفات الرباني، الرباني يتحرك، يلقي كلمة، يتكلم بالمعرفة، ينهى عن المنكر، يساعد، يواسى، يؤدب أولاده، لا بد من حركة.

وأنا أقول دائماً أيها الأخوة: ما إن تستقر حقيقة الإيمان في نفس المؤمن حتى تعبّر عن ذاتها بحركة نحو الخلق، مؤمن لا يتحرك أبداً، لا يؤمن إلا بمصالحه، لا يفعل شيئاً إلا بأجر، أين العمل الصالح؟ أين قوله تعالى:

﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾

[سورة فاطر : ١٠]

أين قوله تعالى:

﴿وَكُلٌّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمَلُوا﴾

[سورة الأحقاف : ١٩]

أين المقوله: حجمك عند الله بحجم عملك الصالح .

ماذا تفعل بقوله تعالى حين يأتيك ملك الموت والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿هَنَى إِذَا جَاءَ أَهْدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلَّيَ أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾

[سورة المؤمنون : ٩٩ - ١٠٠]

مرة ثانية أيها الأخوة أقول: حجمك عند الله بحجم عملك الصالح، وإنما هذا الذي يلتقي إلى شؤونه الخاصة، إلى بيته فقط، إلى أسرته فقط، ولا يفكر في خدمة أحد، ولا في تقديم شيء مادي أو معنوي، فهذا سكوني، ولن يكون الرباني سكونياً، افعل جهد المقل، أنت عند الله معذور، يا رب هذا جهدي، هذا الذي أملكه، اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك.

٣ – العمل و الحركة :

أيها الأخوة الكرام، من نتائج هذه السلبية وهذا التقوّع وهذا الانسحاب من الحياة أن الساحة أصبحت فارغة للطرف الآخر، يلقّنون مبادئهم وعقائدهم وقيمهم وانحرافاتهم، العبرة ألا تخلو الساحة من حق يقال، ألا تخلو الساحة من عمل صالح يُعمل، أما أن ننسحب، وندع الساحة للطرف الآخر، عندئذ تضيق دوائر الحق، وتعلو عليها دوائر الباطل، عندئذ تتقول فلا يسمع قولك، إذا ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عندئذ لا يستجاب الدعاء، فصفات الرباني أيها الأخوة، أنه يتحرك، أنه يعمل، أنه يحمل هم المسلمين، أنه يسهم بشكل أو بآخر.

وهذا المثل الرائع، وهو قصة رمزية؛ سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام حينما أُلقي في النار، كما تروي القصص جاعته ضفدعٌ تملأ فمه بالماء، وتحاول إطفاء الحرائق، وأن حيواناً آخر نفح في الحرائق، لعله يزيده اشتعالاً، فلا الأولى استطاع أن يطفئ الحرائق، ولا الثاني استطاع أن يزيد من تأجّج النار، لكن كل واحد أخذ موقفاً، ولكل موقف، لو لم تقل في إصلاح المجتمع لكنك أديت الذي عليك، وبقي الذي لك عند الله.

٤ – اعتزازه بالعلم :

أيها الأخوة الكرام، الصفة الرابعة في هذه الخطبة من صفات الرباني أنه يعتزّ بهذا العلم.

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيهِ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكُنْ كُونُوا رَبَّانِيْنَ﴾

[سورة آل عمران : ٧٩]

ألا ترى أن الله عز وجل حينما قال:

﴿وَعَلِمْتَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾

[سورة النساء : ١١٣]

ألا تهزك هذه الآية؟ ما هو الفضل العظيم؟ أن يعلمك ما لم تكن تعلم، أي أن العلم و الحكمة من لوازم الربانيّ، قال تعالى:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشْدُدَهُ أَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾

[سورة يوسف : ٢٢]

أيها الأخوة، من أُتي القرآن فظن أن أحداً أُتي خيراً منه فقد حقر ما عظمه الله عز وجل، مقاييس القرآن لا علاقة لها بمقاييس الدنيا، مقاييس الدنيا بين الناس الغافلين، الناس يعظمون الأغنياء، يعظمون الأفوايء، الناس يعظمون من تُحل عندهم مصالحهم، ولو كانوا على الباطل، ولكن مقاييس القرآن مقاييسان لا ثالث لهما، قيمتان لا ثالثة لهما؛ قيمة العلم، و قيمة العمل.

﴿وَكُلُّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾

[سورة الأحقاف : ١٩]

و قيمة العلم:

﴿قُلْ هُلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[سورة الزمر : ٩]

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾

[سورة المجادلة : ١١]

هذا العالم الجليل الذي قال: ماذا يصنع أعدائي بي؟ إنْ أبعدوني فإبعادي سياحة، وإن حبسوني فحبسي خلوة، وإن قتلوني فقتلني شهادة، فماذا يفعل أعدائي بي؟ هذا العالم الجليل الذي قال: " في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة " ، قال تعالى:

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾

[سورة الرحمن : ٤٦]

أنت حينما تستقيم على أمر الله، و تتعقد لك صلة مع الله فأنت في جنة، هذه الجنة تتبع من الداخل، تعكس طمأنينة، تعكس سكينة، تعكس حكمة، تعكس حالاً طيبةً مع الله عز وجل. أحد العلماء أيها الأخوة قيل له: " افعل كذا مع السلطان، فقال: مساكين، أنتم في واد، و نحن في واد " ، أي العلماء الربانيون كانوا من المكانة حيث إن بعض الملوك في العصور السابقة كان يقول: " والله ما استقر ملكي حتى مات العز بن عبد السلام " قيل لأحدهم: بم نلت هذه المكانة؟ فقال: باستغنائي عن دنيا الناس و حاجتهم إلى علمي.

الربانيون هم أهل الآخرة :

قال تعالى:

﴿وَلَكُنُوا رَبَّانِيِّينَ﴾

[سورة آل عمران : ٧٩]

أي منسوبون إلى الرب، الربانيون هم أهل الآخرة، قد يملكون الدنيا بمال أو غيره، و لكن هذه الدنيا عندهم لا قيمة لها إطلاقاً، عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدُلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعْوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ)

[الترمذني عن سهل بن سعد]

و لأن الإنسان يخسرها في ثانية واحدة، لمجرد أن يقف قلبه خسر كل دنياه، والذي جمعه في عمر مدید يخسره في ثانية واحدة، قال الإمام الشافعي:

و من يذق الدنيا فإني طعمتها و سيق إلينا عذابها و عذابها
فما هي إلا جيفة مستحيلة عليها كلاب همّهن اجتذابها
إإن تجتبها كنت سلماً لأهلها و إن تجتبها نازعتك كلابها

عن سهل بن سعد الساعدي قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال :
((يا رسول الله دلني على عمل إذا أنا عملته أحبني الله وأحببني الناس؟ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم: ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبوك))

[ابن ماجه عن سهل بن سعد]

لا تسألنّ بنى آدم حاجة و سل الذي أبواهه لا تحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله و بنى آدم حينما يسأل يغضب

أيها الأخوة الكرام:

و لو أنّ أهل العلم صاتوه لصانهم ولو عظموه في النفوس لعظموا

٥ – نفسه عزيزة :

هذا الرباني نفسه عزيزة:

((من جلس إلى غني فتضعضع له ذهب ثثا دينه))

[كنز العمال، عن ابن مسعود]

صفة الرباني أنه عزيز النفس، ابتغوا الحوائج بعزيمة الأنفس، فإن الأمور تجري بالمقادير، فعن حقيقة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذَلَّ نَفْسَهُ قَالُوا وَكَيْفَ يُذَلَّ نَفْسَهُ قَالَ يَتَعَرَّضُ مِنَ الْبَلَاء لِمَا لَا يُطِيقُ))

[الترمذني عن حقيقة]

أيها الأخوة الكرام، ومن صفات الرباني الحكمة، قال تعالى:
﴿وَلَكُنُوا رَبَّانِيْنَ﴾

[سورة آل عمران : ٧٩]

ابن عباس كما روى البخاري في صحيحه شرعاً لقوله تعالى:
﴿وَلَكُنُوا رَبَّانِيْنَ﴾

[سورة آل عمران : ٧٩]

أي حكماء فقهاء .

أيها الأخوة، من حكمة الرباني أنه لا يضع الحكمة في غير موضعها، لا يمنعها أهلها، و لا يعطيها لمن لا يعرفها، وقد قال تعالى:

﴿فَذَرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَ﴾

[سورة الأعلى : ٩]

لذلك ليس من حكمة الرباني أن يلقي على العامة أموراً لا تعنيهم إطلاقاً، هناك من يلقي دقائق خصومة علمية بين اتجاهين على منبر، هذا الإنسان لا تعنيه هذه التفاصيل، و لا دقائق هذه الخصومة، لكن تعنيه الأمور الواضحة الجلية، التي تعرفه بالله عز وجل، الحكمة ضالة المؤمن، وقد قال الحكيم العليم:

﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةً فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾

[سورة البقرة : ٢٦٩]

ثم إنك إذا حذرت الناس بما لا يفهمون زلزلتهم، وأفسدت عليهم دينهم، وقال عليٌ^{رض}:
((حَذَّرُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذِّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ))

[البخاري عن علي]

حَذَّرَنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى عَنْ مَعْرُوفٍ بْنِ حَرَبْوَذٍ عَنْ أَبِي الطَّفَّالِ عَنْ عَلَيٍّ بِذَلِكَ هَذَا نُسُبٌ إِلَى
الإمام علي كرم الله وجهه:

((حَذَّرُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذِّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟؟))

[البخاري عن علي]

أيها الأخوة الكرام، الحكمة لا تكتسب، ولكنها تُعطى، بدليل قوله تعالى:
﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةً فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾

[سورة البقرة : ٢٦٩]

لذلك من ثمار إيمانك أن الله يلهمك الحكمة، أنت بالحكمة تسعد ولو فقدت كل شيء، ومن دون الحكمة تشقى ولو ملكت كل شيء، أنت بالحكمة تقلب العدو صديقاً، وبالحمق تقلب الصديق عدواً، أنت بالحكمة تسعد بأية زوجة، ومن دون حكمة تشقى بأعلى زوجة .

﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةً فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾

[سورة البقرة : ٢٦٩]

قد تكون قوياً ولست حكيناً، فقوتك تدرك، وقد تكون غنياً ولست حكيناً فمالك يهلكك، وقد تكون وسيماً ولست حكيناً، فوسامتك ترديك، وقد تكون ذكياً ولست حكيناً فذكاؤك يشقيك، لذلك هذه الآية تكتب عليها مجلدات:

﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾

[سورة البقرة : ٢٦٩]

٧ – التواضع :

أيها الأخوة الكرام، ومن صفات الرباني أنه يتواضع، يعرف قدر نفسه، لا ينتصر لنفسه، لا يؤذى غيره بقول أو فعل، لا يرد الحق إذا عرفه، ولا يشتغل بالناس.

أيها الأخوة، الخصومة واللجاج والمشاجنة ليست من صفات الرباني، فهو يصمت في موطن الصمت، ويتكلم بكلام فصل، أحد الأدباء وصف صديقه، قال: لي صديق كان من أعظم الناس في عيني، و كان رأس ما عظمه في عيني صغر الدنيا في عينيه، فكان خارجاً عن سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد، ولا يكره إذا وجد، وكان خارجاً عن سلطان الجهل، فلا يتكلم بما لا يعلم، ولا يماري فيما علم، وكان أكثر دهره صامتاً، فإذا تكلم بز القائلين، و كان يرى ضعيفاً مستضعفًا، فإذا جد الجد فهو الليث عادياً، وكان لا يتكلم، ولا يدلي بحجة إلا إذا رأى قاضياً فهماً، و شهوداً عدولًا ، ألا ينبغي أن يرى إيمانك في سلوكك؟ في سمعك الحسن؟ في تواضعك؟ في فهمك العميق؟ في نطقك السليم؟ في روبيتك الواضحة؟ لعلك إذا ظننت أن أحداً يصلني ويصوم ملك الحكمة، قال له: " أتعرفه؟ " فقال: نعم، قال: هل خالطته؟ قال: لا، قال: هل عاملته بالدرهم والدينار؟ قال: لا، قال: هل سافرت معه؟ قال: لا، قال: أنت لا تعرفه .

٨ – يتعلم و يعلم دائمًا :

أيها الأخوة، ومن صفات الرباني أنه يتعلم و يعلم دائمًا.

﴿بِمَا كُنْتُمْ تُعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾

[سورة آل عمران : ٢٩]

العلم ليس له سقف، فقد تكون في مجلس متعلمًا، و في مجلس مقnia على الناس العلم، ومهمما بلغت من علو المكانة فأنت مفترق إلى العلم، لذلك قالوا: " تعلموا قبل أن ترأسو ، فإن ترأستم فلن تعلموا " ، المؤمن الصادق يطلب العلم من المهد إلى اللحد.

كان الإمام أحمد يركض و نعلاه في يديه، في أحد شوارع بغداد، فقال له أحدهم: يا أبا عبد الله، إلى متى تركض؟ قال: إلى الموت، و قال بعضهم: " أنا مع المحررة إلى المقبرة " ، طلب العلم ينبغي أن يكون مستمراً، وفي قوله تعالى:

﴿وَاعْبُدْ رَبّكَ حَتّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾

[سورة الحجر : ٩٩]

اليقين هو الموت، أي الرباني لا يستعلي بعلمه، يتعلم حتى من الصغير، يتعلم من أي إنسان، علامة أنك ربانى أن تكون متواضعاً في علمك، متواضعاً في تعلمك، أما هذا الذي يستكشف أن يستمع إلى شريط، أو أن يقرأ كتاباً، فهو مستغنى عن كل الناس، فهذا ليس ربانياً. أيها الأخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، و عمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني .

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولـي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عـبدـهـ وـرـسـولـهـ، صاحـبـ الـخـلـقـ العـظـيمـ، اللـهـمـ صـلـ وـسـلـ وـبـارـكـ عـلـىـ سـيـدـنـاـ مـحـمـدـ وـعـلـىـ آـلـهـ وـصـحـبـهـ أـجـمـعـينـ.

صفات الرباني مقاييس لكل مسلم :

أيها الأخوة، قبل أن أنتقل إلى الموضوع الثاني، هذه الصفات ما دورها في الحياة؟ الرباني يطلب العلم، والرباني يعمل به، والرباني يخلص في طلبه و العمل به، والرباني يتمتع بحكمة، يخالط الناس، يصبر على أذاهـمـ، الربـانـيـ يـتـحـركـ لـخـدـمـةـ الـمـسـلـمـينـ.

أيها الأخوة، هذه الصفات بشكل دقيق هي مقاييس لنا، و هذه الصفات بشكل أدق هي هدف لنا جميعاً، كل صفةٍ قس بها نفسك، أين أنت منها؟ و كل صفة هدف جزئي من أهداف حياتك، فأنت حينما تتعلم ما صفات هذا الإنسان الرباني وقد أمر الله أن تكون ربانياً، هذه الصفات مقاييس تقيس بها نفسك، و أهداف تسعى إليها .

الغدة النخامية :

الموضوع العلمي ، أيها الأخوة الكرام، حينما قال الله عز وجل:

﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبَصِّرُونَ﴾

[سورة الذاريات : ٢١]

من يصدق أن في جسم الإنسان غدة سماها العلماء ملكة الغدد، لأنها مسيطرة على كل الغدد، من يصدق أن هذه الغدة وزنها نصف غرام، وأنها مرتبطة بالجسم بمئة و خمسين ألف عصب، أجل هذه الغدة التي وزنها نصف غرام مرتبطة بالجسم بمئة و خمسين ألف عصب، وأن هذه الغدة التي

وزنها نصف غرام تفرز تسعة أنواع من الهرمونات، كل هرمون لو تعطل إفرازه لأصبحت حياة الإنسان جحيناً لا يطاق، أحد هذه الهرمونات هرمون النمو، هذا الهرمون مؤلف من مئة وثمانية وتسعين حمضًا أمينيًّا، و في كتاب ألهـ أحد العلماء سمـاه (الله يتجلـ في عصر العلم) ، هذا الكتاب يؤكـد أن ذرات الكون بأكمله لا تكفي لصنع ذرة حمض أميني صدفة، هذا الهرمون مؤلف من مئة وثمانية وتسعين حمضًا أمينيًّا، هذا الهرمون ينبغي أن يكون في كل لتر من الدم عشرة ميكروغرام منه، فإن قـلت هذه النسبة أصـيب الإنسان بالتقزم، وإن ارتفـعت أصـيب بالتعـملق، وكلاهما مرضان كبيران، فمن وجود عشرة ميكروغرام في كل لتر دم ينمو الإنسان نموًّا طبيعـيا، و هذا الهرمون تفرزـه الغـدة النـاخـامية.

هرمون آخر تفرزـه هذه الغـدة النـاخـامية و يتـجـهـ هذا الإـفـراـزـ إلىـ الكـظـرـ، و قد ذـكـرـ لـكـمـ كـثـيرـاـ أنـ الإنسانـ إـذـ رـأـىـ شـيـئـاـ مـخـيفـاـ يـنـطـبـعـ هـذـاـ الشـيـءـ عـلـىـ شـبـكـيـةـ العـيـنـ إـحـسـاسـاـ، ثـمـ يـنـتـقـلـ إـلـىـ الدـمـاـغـ إـلـاـكـاـ، بـحـسـبـ المـفـهـومـاتـ التـيـ كـسـبـهـاـ إـلـيـهـاـ مـنـ تـجـارـبـهـ وـ درـاسـاتـهـ، فـحـينـماـ يـدـرـكـ الدـمـاـغـ - وـ هـوـ مـلـكـ الـجـهـازـ الـعـصـبـيـ - أـنـ هـنـاكـ خـطـرـاـ كـبـيرـاـ، هـذـاـ الدـمـاـغـ يـعـطـيـ أـمـرـاـ أوـ التـمـاسـاـ إـلـىـ الغـدةـ النـاخـاميةـ أـنـ تـوـاجـهـ هـذـاـ الخـطـرـ، الغـدةـ النـاخـاميةـ تـعـطـيـ أـمـرـاـ إـلـىـ الـكـظـرـيـنـ، وـ هـمـاـ غـدـتـانـ فـوـقـ الـكـلـيـتـيـنـ، الـكـظـرـ مـكـلـفـ بـوـضـعـ خـطـةـ تـفـصـيلـيـةـ لـمـوـاجـهـهـ الـخـطـرـ، أـوـلـ هـرـمـونـ يـفـرـزـ الـكـظـرـ يـتـجـهـ إـلـىـ الـقـلـبـ، فـيـرـفـعـ مـنـ نـبـضـاتـ قـلـبـهـ، فـالـخـائـفـ لـوـ قـسـنـاـ نـبـضـهـ لـوـجـدـنـاهـ فـوـقـ الـمـئـةـ وـ الـعـشـرـيـنـ، فـوـقـ الـمـئـةـ وـ الـخـمـسـيـنـ، الـهـرـمـونـ الثـانـيـ يـتـجـهـ مـنـ الـكـظـرـ إـلـىـ الرـئـيـتـيـنـ لـيـزـدـادـ وـجـبـيـهـماـ، كـيـ يـتـنـاسـبـ وـجـبـبـ الـرـئـيـتـيـنـ مـعـ ضـرـبـاتـ الـقـلـبـ، وـ الـهـرـمـونـ الثـالـثـ يـتـجـهـ إـلـىـ الـأـوـعـيـةـ الـمـحـيـطـيـةـ، الـخـائـفـ يـرـتـقـعـ نـبـضـهـ، وـ هـوـ يـلـهـثـ، وـ الـخـائـفـ تـجـدـهـ مـصـفـرـ اللـوـنـ، وـ هـذـاـ الـهـرـمـونـ أـمـرـ الـأـوـعـيـةـ الـمـحـيـطـيـةـ أـنـ تـضـيقـ لـمـعـتهاـ مـنـ أـجـلـ تـوـفـيرـ الدـمـ إـلـىـ الـعـضـلـاتـ، فـالـخـائـفـ تـرـاهـ مـصـفـرـاـ، ثـمـ إـنـ الـهـرـمـونـ الـرـابـعـ يـتـجـهـ مـنـ الـكـظـرـ إـلـىـ الـكـبدـ، لـيـطـرـحـ كـمـيـةـ سـكـرـ إـضـافـيـةـ، لـوـ فـحـصـتـ دـمـ الـخـائـفـ لـوـجـدـتـ نـسـبـ السـكـرـ أـعـلـىـ مـعـدـلـهـاـ إـلـىـ الـكـبدـ، لـيـطـرـحـ كـمـيـةـ سـكـرـ إـضـافـيـةـ، لـوـ فـحـصـتـ دـمـ الـخـائـفـ لـوـجـدـتـ نـسـبـ السـكـرـ أـعـلـىـ مـعـدـلـهـاـ الـطـبـيـعـيـ، هـرـمـونـ خـامـسـ يـتـجـهـ مـنـ الـكـظـرـ إـلـىـ الـكـبدـ لـيـطـرـحـ هـرـمـونـ التـجـلـطـ، لـئـلاـ يـسـيلـ دـمـ إـلـيـهـ مـنـ ضـرـبةـ وـاحـدةـ، كـلـ هـذـاـ يـتـمـ فـيـ ثـوـانـ، بـأـمـرـ مـوـحدـ مـنـ الغـدةـ النـاخـاميةـ:

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبَصِّرُونَ﴾

[سورة الذاريات : ٢١]

ثم إن هناك هرمون الجنس، لو لا هذا الهرمون الذي تفرزـهـ الغـدةـ النـاخـاميةـ لـمـ اـتـضـحـتـ الـمـعـالـمـ الـأـسـاسـيـةـ وـ الـثـانـيـةـ لـلـذـكـرـ وـ الـأـنـثـيـ.

حدثـيـ أـخـ يـعـمـلـ فـيـ التـجـارـةـ الـخـارـجـيـةـ، ذـهـبـ إـلـىـ أـلـمـانـيـاـ، فـيـ أـحـدـ الـمـعـالـمـ لـهـ مدـيـرـةـ مـبـيعـاتـ، يـعـرـفـهـاـ كـثـيرـاـ، مـنـ زـيـاراتـ سـابـقـةـ، قـالـ لـيـ: وـجـدـتـهـاـ فـيـ شـكـلـ رـجـلـ، شـعـرـ فـيـ وـجـهـهـاـ، وـ خـشـونـةـ فـيـ صـوـتـهـاـ، فـسـأـلـتـهـاـ: مـاـ الـذـيـ حدـثـ؟ قـالـتـ: هـنـاكـ هـرـمـونـ تـفـرـزـهـ الغـدةـ النـاخـاميةـ كـفـ عنـ الإـفـراـزـ، أـنـاـ أـدـفـعـ نـصـفـ دـخـلـيـ ثـمـاـ لـدوـاءـ كـيـ أـثـبـتـ عـلـىـ هـذـهـ الـحـالـةـ، مـنـ مـاـ يـعـلـمـ أـنـ هـذـهـ الغـدةـ التيـ وزـنـهاـ نـصـفـ غـرـامـ تـفـرـزـ هـذـهـ الـهـرـمـونـاتـ، هـنـاكـ هـرـمـونـ يـلـوـنـ الـجـلـدـ، تـفـرـزـهـ الغـدةـ النـاخـاميةـ، الـذـيـ يـحدـدـ

لون الجلد من أبيض، إلى أسمر، إلى أسود، وهناك هرمون توازن السوائل، لو تعطل هذا الهرمون كانت حياة الإنسان تتقلّاً بين الصنبور ودورة المياه، وقد يشرب برميل ماء في اليوم، لكن هذا الهرمون تفرزه غدة توازن السوائل، كل هذه الوظائف التسع، وكل هذه التعقيدات، وكل هذه المعادلات تصدر من غدة هي ملكة الغدد، اسمها الغدة النخامية، وزنها نصف غرام، مربوطة بالجسم بمئة وخمسين ألف عصب .

﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾

[سورة لقمان : ١١]

أنت حينما تستيقظ صباحاً تتحرك، تأكل وتشرب، وترى وتسمع، تبصر، تمشي، وتطرح ما في المثانة من بول، أنت بهذا الوضع في معجزة، لأن كل الأجهزة تعمل بنظام، وبنسب كلها دقيقة وطبيعية، فأيّ خلل يصيب هذه الأجهزة، أو أيّ خلل يصيب هذه الغدد الصماء تكون له انعكاسات وخيمة على الجسم، لذلك هذه الغدد الصماء من أعقد الاختصاصات الطبية الآن.

ضرورة التفكير في حياة كل إنسان :

أيها الأخوة الكرام، التفكير في خلق السموات والأرض، وفي خلق الإنسان ضروري، وذوفائدة إيمانية كبيرة، قال الله عز وجل:

﴿سَتُرِيهِمْ أَيَّاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾

[سورة فصلت : ٥٣]

هذا أوسع باب تدخل منه على الله، وأقصر طريق إليه، لأنه يضعك وجهاً لوجه أمام عظمة الله عز وجل، وحينما تعرف الأمر ثم تعرف الأمور تقني في طاعة الأمر، وحينما تعرف الأمر ولا تعرف الأمر تتقن في النقلت من أمره.

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت، واعفنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وفنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تبارك ربنا و تعاليت، ولك الحمد على ما قضيت، نستغرك و نتوب إليك، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك، اللهم أعطنا و لا تحرمنا، أكرمنا و لا تهنا، آثرنا و لا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، اللهم إنا نعوذ بك من عصال الداء، ومن شماتة الأعداء، ومن السلب بعد العطاء، مولانا رب العالمين، اللهم إنا نعوذ بك من الفقر إلا إليك، ومن الخوف إلا منك، ومن الذل إلا لك، اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقرر أعيننا من رضوانك، اللهم صن وجوهنا باليسار، ولا تبذلها بالإقتار، فنسأل شر خلقك، و نبتلى بحمد من أعطى و ذم من منع، وأنت من فوقهم ولهم العطاء، و بيتك وحدك خزان الأرض و السماء، اللهم اسقنا الغيث ولا

تجعلنا من القاطنين، ولا تهلكنا بالسنين، ولا تعاملنا بفعل المسيئين يا رب العالمين، اللهم بفضلك و رحمتك أعلِّ كلمة الحق و الدين، وانصر الإسلام وأعز المسلمين، اللهم خذ بيده ولاتهم إلى ما تحب و ترضي، اللهم من أراد بالإسلام و المسلمين خيراً فوفقه لكل خير، ومن أراد بهم غير ذلك فخذه أخذ عزيز مقتدر، واجعله عبرة لمن يعتبر، اللهم اجعل تدميره في تدميره، واجعل الدائرة تدور عليهم يا رب العالمين، اللهم أرنا قدرتك في هزيمة الكفار و المنافقين، يا رب العالمين.

عباد الله، إن الله يأمر بالعدل والإحسان، وينهى عن الفحشاء و المنكر و البغي، يعظكم لعلكم تذكرون.

والحمد لله رب العالمين